# التصـــوّف
## ومرتكزاته المعرفية في الثقافة العربية والإسلامية

قندسي عبد القادر
أستاذ محاضر "أ"
جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

تعود البدايات "الجنينية" في النشأة الأركيولوجية لحركة التصوف في الثقافة العربية الإسلامية إلى حركة الزهد التي راجت في القرن السابع الميلادي، التي احتجت على التمايز الطبقي الذي ظهرت أولى بوادره في أيام الخلافة الأموية حيث شاع الترف والبذخ في الأوساط الحاكمة، حيث برزت الأولى مع أبي الدرداء (ت :652) ، وأبي ذر الغفاري (ت: 652) حذيفة بن اليمان (ت 657) ومع الحسن البصري (ت 728هـ) وإبراهيم بن الأدهم (ت.ح 770) ولم يكن لفظ "الصوفي" قد عرف بمدلوله الاصطلاحي، فسموا رواد هذه الحركة، بالزهاد أو العبّاد.

"فما من سبيل الهدى إلا ولها أهل علمه سبحانه وتعالى أرشدهم إليها بطريق من طرق الإرشاد الصريحة أو الإلهامية، كما أنه سبحانه وتعالى يسر ظهور الميزان لما علم أزلا أن الأحظ والأصلح عنده تعالى لمؤلفها من وافقه في منامه وأخلاقه وأحواله أن يكشف له من عين الشريعة الكبرى التي يتفرغ منها سائر منازع مذاهب المجتهدين ومواد أقوالهم ليرى ويطلع على جميع محال مآخذهم لها من طريق الكتاب والسنة أطلعه الله سبحانه وتعالى عليها"1.

لابد أن يتميز هؤلاء العباد عن عامة المسلمين بفرط التقوى، والاجتهاد في سائر العبادات، وعلى صعيد الرياضات والشعائر أخذوا بـ "الذكر" أي تكرار الاسم

الأعظم "الله حيّ الله أكبر لا إله إلا الله" وتدريجيا صار الذكر يتوافق بـ "الرقص" يدور به المتصوف على نفسه حتى يتلاشى عياء ويفقد وعيه، ثم ينشد الأشعار ويرتل بعض الآيات، ويترافق كل ذلك في بعض الأحيان بالموسيقى.

وبدأت هذه الحركة تتسع في البوادي والحواضر "وكان الكثير منهم يقيمون في أماكن خاصة "رباط" أو "تكية" أو "زاوية" يمارسون فيها شعائرهم ورياضاتهم، وكان على رأس كل جماعة كهذه "شيخ" يدبر أمورها، وكان على الراغب "المريد" في الالتحاق بجماعات المتصوفة أن يجد شيخا أو مرشدا يدربه ويعلمه"2.

كان نفوذ المرشد عظيما حين يلزم المريد بتعاليماته وينسب إلى ذي النون المصري (ت: ح 860) قوله "إن طاعة المريد لشيخه قوله طاعته لربه" لأن المرشد في توجيهاته سلوك المريد طريق الكمال الروحي، ليتحد المتصوف بربه، ويستشهد المتصوف بإمكانية الاتصال بالله بقوله " وهو معهم أينما تتم " سورة الحديد الآية 04 3 .

ويقول تعالى: "فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه سورة المجادلة الآية 6 4".

. أ/ الاقتراب من الإله فيتم عبر الحب المتبادل، الذي يذهب الصوفية إلى أنه هو المقصود في قوله: سورة المائدة الآية54 5 .

أما أكبر مروّجة لفكرة الحب الإلهي في تاريخ التصوف الإسلامي في مناجاتها بربها "إلهي أنارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يبك" 5

وقد أرست رابعة العدوية دعائم الشعر الوجداني والغنائي الصوفي الذي يجعل المتصوف يترقى في المنازل العلوية، ويستأنس بحب الله عز وجل ليكون سببا في بغض الشيطان، وقد بدأت تظهر المواجد وتفتقت عبقريات شعرية في هذا المجال

منها: عمر بن الفارض ت: 1235 وفريد الدين العطار ت: 1230، وسعدي الشيرازي: 1391 وعبد الرحمن الجامي ت: 1429 والقائمة طويلة غير أن المجال لا يسمح إلا بتقديم من كان لهم قصب السبق، وكانت بصماتهم مؤثرة في مجال الشعر الصوفي.

كما راحت بعض الأفكار التي استحدثت، ولم تكن موجودة إلا من شخص الرسول صلى الله عليه وسلم في (الإسراء والمعراج) ولا ينبغي لأي كان أن يبلغ منزلته في السموات، إذ بعد رواج فكرة الحب الإلهي، ظهرت فكرة الأحوال "وينسب إلى ذي النون المصري أنه كان أول من أدخله، فالسفر الصوفي الذي ينتهي بمشاهدة الإله، ذو مراحل يسميها "مقامات" وتغمر السالك أثناء هذا السفر فيوض شعورية تدعى به "الأحوال" 6

إن الغاية المقصودة من هذا السفر هي ملاقاة الإله والبسط في الحضرة الإلهية لتلقي العلوم والمعارف وتتم فيه بعض الأمور التي لا يمكن أن تحدث في الزمان والمكان، وإنما هي من قبيل العوارض والمعجزات التي لها أهلها وأصحابها.

إذ تورد بعد الأدبيات الصوفية تسميات وأعداد مختلفة للمقامات والأحوال.

**من المقامات:** التي تتم للصوفي في رحلته، لمشاهدة الحق سبحانه وتعالى التوبة، الورع، الزهد، الفقر والصبر والتوكل والرضا.

**أما الأحوال:** القرب، المحبة، فالخوف فالرجاء، فالشوق فالمشاهدة، فاليقين.

وبدءا من القرن التاسع أصبحت الغاية من سلوك طريق الحب الإلهي لا يمكن إلا بأن توصف بالاتصال به والحلول فيه، ويعبر الصوفي عن الاتحاد

بلفظ "الفناء" "فكانت ثمرة هذا الاستعداد أن تجلى الحق لهم معلما فأطلعتهم تلك المشاهدة على معاني هذه الأخيار والكلمات دفعة واحدة، وهذا ضرب من ضروب المكاشفة" 7

وسّع الحلاج دائرة الحب الإلهي، إذ كان مقتصرا على فئة معينة من الناس (الخاصة) وصيّره في متناول كل الناس، وبذلك أعطاه مظهرا إنسانيا عالميا، حين يندمج الواحد بالمطلق، وتتحد بالذات بالموضوع ويرسم الحلاج هذه الوحدة التي لقيت رواجا لا مثيل له في الأوساط الصوفية" 8.

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا ... وَنَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنَا
نَحْنُ مُذْ كُنَّا عَلَى عَهْدِ الهَوَى ... تُضْرَبُ الأَمْثَالُ لِلنَّاسِ بِنَا
فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ ... وَإِذَا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنَا

كما أن فكرة الحلول التي يعدها الصوفية من أرقى الأحوال وفيها يصل الصوفي مرتبة متميزة في المقامات يحل "اللاهوت" في "الناسوت" ويقول الحلاج دائما 9.

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ نَاسُوتَهُ ... يَسْرِي لَاهُوتَهُ الثَّاقِبِ
ثُمَّ بَدَا فِي خَلْقِهِ ظَاهِرًا ... فِي صُورَةِ الأَكْلِ والشَّارِبِ
حَتَّى لَقَدْ عَايَنَهُ خَلْقُهُ ... كَلَحْظَةِ الحَاجِبِ بِالحَاجِبِ

تبدو أكثر شطحاته مواقف حلولية، إذا كان قوله المشهور "أنا الحق" ولم يقصد الحلاج بالحلول، حلول الله عز وجل في مخلوقاته كما في أفكار سائر الصوفية، وإنما سمي "بالحلول المقيد" أي تجليه سبحانه في صور سائر الكائنات.

يعد الحلاج أول من طرح فكرة "**النور المحمدي**" على أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه نوره قديم، وهو مصدر الخلق جميعا والموجودات كافة وفيه تتجلى صورة الإنسان الكامل، ومن نوره ظهرت أنوار النبوات الأخرى، ولذا فالأديان على اختلافها واحدة في الأصل متطابقة في الجوهر "أعلم أن اليهودية والنصرانية والإسلام وغير ذلك من الأديان هي ألقاب مختلفة وأوسام متغايرة والمقصود منها لا يتغير ولا يختلف" **10**.

فالكفر والإيمان يفترقان من حيث الاسم، إذ للإيمان خصوصيات ومبادئ وحدود وأساسيات وأخلاقيات، للكفر كذلك تمايزات ومبادئ وأخلاقيات وسلوكات، أما من حيث الحقيقة فلا فرق بينهما، لعل هذه النزعة الشمولية ستغدو سمة مميزة لأغلب المذاهب الصوفية على اختلافها وتنوعها.

أما ابن عربي (المولود في مرسية جنوب شرق اسبانيا) (**1165** م ت **1240** بدمشق) في يومياته الروحية (الفتوحات المكية) أو (موسوعة العلوم الباطنية).

له مجموعة رسائل مؤسسة لقضايا الأنطولوجيا (علم الوجود) والكسومولوجيا (**علم الكون**) هي: شجرة الكون و"**إنشاء الدوائر**" وعقلة المستوفر (والتدبيرات الإلهية).

ما ينسب لابن عربي أنه له طريقة خاصة في التصوف تعرف ب "**الأكبرية**" نسبة إلى لقبه "**الشيخ الأكبر**" وقد ميز بين "**التوحيد الوجودي**" توحيد الخواص وأهل الطريقة والمعبر عنه في الإسلام "**الباطن**" والتوحيد الألوهي الذي يعتقده العوام وأهل الشريعة ويعبر عنه في الإسلام بالظاهر.

شعار الأول "**لا وجود إلا الله**" وشعار الثاني "**لا إله إلاّ الله**" يمضي وأتباعه بتوحيد الإله إلى توحيد الوجود ومن هنا كانت تسميتهم "**أهل الوحدة**" "إن وجود الكائنات المخلوقات هو عين وجود الخالق ليس غيره ولا سواه" 11.

لم يقارن الشيخ الأكبر بين العالم والإله فحسب بل جعل الإله عالما مأخوذا في وحدته "ما في الوجود من يقبل الأضداد إلا العالم من حيث ما هو واحد" 12 و"ما تم من يقبل الأضداد في وصفه إلاّ الله" 13

وعليه فإن إله أهل الوحدة متعال ومحايث معا، فهو مع كل شيء لا بمقاربة، وغير كل شيء لا بمزايلة، قد اختفى بشدة ظهوره، وظهر بشدة اختفائه، وعلا في دنوه، ودنا في علوه بطن في ظهوره، وظهر في بطونه، تجلى في كل وجهة، وتخلى عن كل جهة، ففيه تجتمع الأضداد كلها حتى يذهب حكماء الصوفية إلى أن "الله تعالى لا يعرّف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليها بها" 14.

**يورد ابن عربي 03 :**

أَغِيبُ فَيَفْنَى الشَوْقُ نَفْسِي فَأَلْتَقِي ... فَلاَ اَشْتَقِي، فَالشَوْقُ غَيْبًا ومُحْضَرًا
وَيَحْدُثُ لِي لُقْيَاهُ مَا لَمْ أَظُنُّـــهُ ... فَكَانَ الشِفَاءُ دَاءَ مِنْ الوَجْدِ آخَـــرًا
لِأَنِّي أَرَى شَخْصًا يَزِيدُ جَمَالُـــهُ ... إِذَا مَا إِلْتَقَيْنَا نَفْرَةً وَتَكَبُّـــــــرًا
فَلاَبُدَّ مِنْ وُجْدٍ يَكُونُ مُقَـــارِنًا ... لَمَّا زَادَ مِنْ حُسْنٍ نِظَامًا مُحَـــرَّرًا

لعل المطلق (الموجود) الواحد، شعار تتفانى الصوفية في التغني به، إن الله جميل يحب الجمال، والعالم مخلوق على هيئة خالقه ومثاله غاية في الجمال، على أن الإله هو الجمال الكلي المطلق حاضر في كل جميل مبثوث

في كل حسن في جميع الأشكال والهيئات والجهات، من صورة ونغم ورائحة وطعم أو لمس.

## قضايا التأويل العرفاني (الصوفي):

### توطئة:

تتخذ قضية التأويل في التراث الصوفي العربي الإسلامي أبعادا إبستيمولوجية ولغوية وأنطولوجية عديدة، ولعل هذه التعددية ما يجعلها من القضايا العسيرة والمعقدة، إذ يجد الباحث في هذا المجال نفسه أمام بحور زاخرة من الآراء والمواقف حتى أن المنتمين إلى هذا الحقل أنفسهم (الصوفية) كان يعملون على جعل المعرفة الصوفية خاصة، لا يمكن أن يدركها إلا أهلها باعتمادهم على الرموز والإيماءات اللغوية والتشبيه المنهجي والإشاري الذي يربأ بهذه المعرفة على أن تكون متداولة من عامة الناس "وأما في مرتبة الحقيقة فقالوا "إن الأعيان الثابتة حاكمة على الحق وآمره بلسان الاستعداد بيانا لوجود معنى الحكم والأمر في الأعيان فهم لم يقولوا: إن العبد حاكم على الحق باللسان الصوري كما أنهم لم يقولوا كذلك والأمر كما قلنا: فان أهل الشرع يتعلق غرضه بلسان الظاهر، لسان الصوري الجسماني وأهل الحقيقة يتعلق غرضه بلسان الباطن المعنوي الإستعدادي" 15.

يتضح مما سبق أن الصوفي يعتمد على الباطن الذي ليس بمقدور أحد إلا من كان مستعدا ومهيأ لمعرفة الأسرار وله القدرة على فك التشفير الذي طمروه في سائر خطاباتهم وخوضهم في العلوم البعيدة التي لا يمكن إدراك كنهها إلا لمن كان من أهل المعرفة الغائرة "والإلهام هو ما يلقى من الروع بطريق الفيض، أما ما يقع في القلب من علم ويدعو إلى العمل عن غير

استدلال بآية، ولا نظر في حجة، وهو ليس بحجة عند العلماء، ولكنه عند الصوفية حجة، والفرق بين الإلهام والإعلام أن الأول أخص من الثاني، فقد يكون بطريق الكسب وقد يكون بطريق التنبيه" 16

تأتي المعرفة الصوفية عن طريق الإلهام الذي يتحقق بمجاهدة النفس وتصفية الباطن، وهي وسيلة تدرك بها الحقائق والمعارف وتساوي طريق النظر والاستدلال وقد تفوق المعرفة الصوفية المعرفة الاستدلالية العقلي.

والطريق الموصل إلى المعرفة الصوفية هو الذي يجمع فيه وسائل الإدراك مثل: النفس والقلب والروح والسر بالإضافة إلى العقل الذي يستنير بالإيمان "وذلك أن يكون العارف إذا حصلت له المعرفة قائما بالحق في جمعيته نافذ الهمة مؤثرا في الوجود على الإطلاق من غير تقييد" 17.

إذا كان لظاهرة الزوج: **اللفظ/المعنى** في الحقل المعرفي البياني مكانة متميزة، فإن التيارات العرفانية (**الصوفية**) الثقافية العربية الإسلامية قد وظفت الزوج **الظاهر/الباطن** توظيفا استحوذ على الخطابات الصوفية المختلفة التي جعلت الزوج **ظاهر/باطن** الذي استعمل على أصعدة مختلفة (**اجتماعية- سياسية- عقائدية**) بلجوئهم إلى الاعتماد على الإشارة والرمز في خطابهم للتعامل مع العامة الذي ليس بإمكانهم معرفة الباطن وذلك اتقاء لردود أفعالهم المخالفة للمتصوفة والمناوئة لإبهام العامة بالاطلاع على الأسرار "إن العلاقة بين العبارة والإشارة هي العلاقة بين الظاهر/الباطن، فظاهر العبارة هو ما تدل عليه من حيث وضعية اللغة، والإشارة هي باطنها من حيث هي لغة إلهية"18

يتوقف أهل الظاهر عند معاني العبارات التي تعطيها قوة اللغة الإنسانية، وليس بمقدورهم تجاوز هذا الظاهر اللغوي في حين ينفذ العارفون إلى ما تشير إليه العبارات إلى باطنها الروحي.

لكي تمكن من التفريق بين ظاهر العبارة وباطنها الإشاري الرمزي علينا التفريق بين اللغة الإنسانية / لغة التواصل واللغة الإشارية الإلهية التي استعملها المولى عز وجل في القرآن الكريم.

لا ينكر لبيب أن دلالة اللغة الإنسانية دلالة عرفية، غير أن دلالة لغة القرآن هي دلالة ذاتية على المستوى العرفي لأنها تدل في باطنها على حقائق وجودية "لا تقوم العلاقة بين الرمز والمرموز إليه، أو الإشارة والعبارة على الانفصال، فليست اللغة العادية إلا صدى للغة الإلهية، أو مظهرا لها على المستوى الوجودي، وقد كان من الضروري أن ينزل الوحي على اللغة العرقية لأنه مزل لهداية النّاس كافة" 19

وبما أن كلام الله يشمل كافة الناس، كان لزاما أن يعمد إلى ظاهر يفهمه العامّة، وإلى باطن لا يمكن النفاذ إليه إلا لمن كان من خاصة الله، واللغة إلهية إشارية ورمزية ومن الطبيعي حينئذ أن ينهج المتصوفة في تعبيراتهم منهج الستر والإشارة لأن أهل المعارف والمعارج لهم استخدام خاص بهم للغة إما لخوفهم من هجومات الفقهاء وردودهم على الاتصال بالله عز وجل على غير لغة عادية وذلك قصور منهم، أو خوف تفكيرهم واتهامهم بالزندقة.

"للصوفية مستبطات في علوم مشكلة على فهوم الفقهاء والعلماء، لأن لذلك لطاف مودعه في إشارة لهم تخفي في العبارة من دقتها ولطافتها، وذلك في معنى

العوارض والعوائق والعلائق ... فالصوفية مخصوصون من أولى العلم القائمين بالقسط بحل هذه العقد والوقوف على المشكل من ذلك"20

إن منهج الاستعمال الخاص للغة (**الإشارة والرمز**) يرتبط باتساع الآفاق المعرفية إليها العرف في معرفته الباطنية، حين لا يجد في اللغة الوضعية العبارات الأقدر على العبير عن الحقائق التي يتوصل إليها الصوفي ومن ثم يتوجب عليه أن يستر على هذه المعارف رحمة بالعامة فما أظهرت النبوة للجمهور إلا قدر لحمل عقولهم خوفا من نفورهم عنه وذهولهم، فيقعوا في تكذيب الخبر الصادق فتحل بهم لذلك ثلاث العوائق".

لقد استخدم الصوفية الزوج **ظاهر/باطن** الوارد في النص الشريف ما يدعمهم في رؤاهم ومعتقداتهم التأملية والنظرية من مثال قوله تعالى " **وأسبغ عليم نعمه ظاهرة وباطنة**" سورة لقمان الآية 20 21 وقوله أيضا : " **وذروا ظاهر الإثم وباطنه** " سورة الأنعام الآية120 21

وقد اتخذوا من بعض الآيات تصوراتهم واعتبروها ذات مضمون عرفاني كما في قوله تعالى " **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** "سورة الحديد الآية 03 22

إذ استلهم المتصوفة من الزوج **الظاهر/الباطن** ما يدعم أفكارهم ويسند توجهاتهم، وجدوا في الزوج /التنزيل/التأويل، ما فسح المجال في تصورهم للتمييز بين مستويين من الدلالة اللغوية التي طابقوا بينها وبين الظاهر (**التنزيل/الظاهر**) والدلالة **الإشارية/الرمزية** التي طابقوا بينها وبين الباطن/التأويل، "مع أن لفظي (تنزيل وتأويل لم يردا في القرآن متقابلين في صيغة زوج، إذ ورد كل منهما على حدة، فإن السياق الذي استعملا فيه يسمح بإقامة تقابل بينهما"23

وعلى اختلاف الدلالات التي استعمل فيها مصطلح التأويل على معان مختلفة (المشار إليها في المدخل) والتفسير الذي قابله في الدلالة، ربطوا التفسير الذي يرتبط بالألفاظ مع بالظاهر، والتأويل المتعلق بالمعاني بالباطن.

إذ اشترط البيانيون في "**التأويل**" نقل اللفظ من معناه اللغوي الأصلي إلى معنى آخر يحتمله مع وجود قرينة "ومعنى التأويل هو إخراج دلالة اللفظ من دلالة الحقيقية إلى دلالة المجازية من غير أن يحل ذلك بعادة لسان العرب" 24

يعود على بدء فالتأويل يعني عندهم نقل اللفظ من المعنى اللغوي الأصلي إلى المعنى الذي ألفت العرب أن تصرفه إليه في تجوزها، غير أن المتصوفة الإسلاميين فالتأويل عندهم يخترق الحدود اللغوية إلى حقل معرفي متجاوز يرقى المجال التداولي للغة العربية إلى مجال آخر باطني يصفونه بالحقيقة.

درءا للقضايا السياسية في التأويل العرفاني الإسلامي، سواء لذلك التداخل بين مختلف التيارات الإسلامية من فلاسفة اسما عليين وشيعة وسنة "وتوظيفهم لمرويات توظيفا سجاليا سياسيا ليحتل كل الفريق الزعامة والصدارة في خوض التأويل الصوفي، وان كان لكل تيار مرجعية خاصة به، لا أود التأريخ للتأويل العرفاني بقدر معرفة سبله.

فابن العربي يزعم أنه تلقى من النبي صلى الله عليه وسلم بطريق "**الكشف**" حديثا قال له فيه "ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر، وبطن ولكل حرف حد ومطلع كما يستند العرفانيون في الإسلام على تأسيس، التأويل الباطني على أحاديث المنسوبة إلى الرسول الكريم والى أئمة وكبار الشيعة والى بعض الصحابة حتى يكون مستندهم شرعيا" 25.

"وكما كان الفقهاء والأصوليون قد استرجعوا من دراسة القرآن الكريم كنص لغوي طريقة عربية لفهمه واستنباط الأحكام منه، ولما كانت هذه الطريقة البيانية الفقهية القياسية لا تؤدي قط، ولا يمكن أن تؤدي إلى تلك المضامين التي صح بها الباطنيون من الإسماعيلية والشيعة والمتصوفة بوصفها الحقيقة التي تقف وراء الشريعة، فإنهم أي الفقهاء قد اعتبروا التأويل الباطني، شيعا كان أو صوفيا، دخيلا على الأفق القرآني معارضا وأحيانا مناقضا لظاهر النصوص" 26.

مما سبق بيانه يظهر أن الزوج: **اللفظ/المعنى** يحتل موقعا مرموقا في الحقل البياني وهو أساس الدراسة البيانية العربية، وقد ارتكز عليه أعمدة البلاغة، وقد ماثله الزوج: **الظاهر/الباطن** ووظف في دراسة النصوص الشريفة، وان كانت بعض الطوائف قد لجأت في بعض الأحايين إلى الاعتماد على الرمز والإشارة إما هروبا من واقع محتوم أو في سائر تعاملاتهم مع السواد الأعظم من الناس خوفا من فهومهم أو ردعا لأسرار لا يعلمها إلى المتصوفة.

لقد أثر أهل المعرفة الصوفية أن يكونوا هم "**الأصول**" و"**الأقطاب**" وأن، الله "عصمهم من الخطأ في النظر والحكم والقبول والرد" وأن بهم "**يحفظ الله جميع هذه الأمة**" وأنهم "**خيار الخيار**" ليغالي بمنزلتهم فيصيروا من أصحاب الشطح كالبسطامي والحلاج، وكذلك تصوف أصحاب الأسرار كابن عربي وأمثاله" 27 .

يعتقد جميع المتصوفة باختلاف معارفهم ومنازعهم أنهم هم وجدهم أهل الحقيقة هو أسمى طريق في حصول الأسرار والعلوم وبذلك تجاوزوا العوائق التي واجهت جميع صنوف التأويل الذي تبناه علماء الكلام والفقهاء والفلاسفة، وقد صاغ بعضهم هذا المفهوم "**التأويل**" على أنه كشف، وما دام النص القرآني رسالة إلهية إلى سائر المخلوقات، فإنه لا يمكن فهم أسرارها والتوصل إلى خفاياها الاستناد على

مصدر هذه المعرفة، أي لا يعرف الله إلا أهله وخاصته، وهي حقيقة غابت عن أهل التأويل الذين بنوا تأويلهم على معارف سابقة "فلم يكن التأويل سوى تصرف في النص لجعله موافقا لمعان معطاة بشكل قبلي تكونت في مجالات كلامية وفلسفية خارج النص القرآني، فالتأويل من هذا المنظور لم يكن قراءة مبنية على تفاعل حقيقي بالنص يسعى من خلال العبد إلى الاتصال بالحق اتصالا خاصا تنتج عنه معرفة حقيقية ويقينية لكنه الرسالة لا اختلاف فيها ولا اضطراب" 28.

أرجع العرفانيون التأويل إلى الحقيقة التي يتلقونها من المولى عز وجل عن طريق الحلول تارة، والكشف تارة أخرى، ولا يمكن أن ينال هذه الكرامة ويبلغ هذه المنزلة إلا عارف بالله عز وجل، وهذا العارف بإمكانه أن يؤول حتى وإن غابت عنه المعارف اللغوية والنحوية والبلاغية، وسائر المعارف والعلوم وحتى الشروط التي تتحقق في المؤول، إلا أنه يستطيع أن يتأوّل لأنه من الخاصة الذي اصطفاهم الله عز وجل ليحفظ بهم الدين ويمنن بهم أركان الشريعة.

## الهـــوامش

[1] من تراث الصوفية في الرد على المخالفين إعداد أحمد عبد الرحيم السايح المستشار: توفيق علي وهبه، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط01- 2005م، ص: 279.

[2] أرثور سعد سيف، توفيق سلوم، الفلسفة العربية الإسلامية، م.م.س، ص: 279.

[3] سورة الحديد، الآية رقم: 04.

[4] سورة المجادلة، الآية رقم: 16.

[5] سورة المائدة، الآية رقم: 54.

[6] عبد الرحمن بدوي، شهيد العشق الإلهي، رابعة العدوية القاهرة، 1962م، ص: 123.

❖مراتب الصوفية/طبقات الصوفية:

1- المريد.

2- المجذوب

3- الشيخ.

4- الوتد.

5- البدل.

6- الغوث.

7- القطب.

[7] أرثور سعد سيف، توفيق سلوم، الفلسفة العربية الإسلامية الكلام والمشائية والتصوف، م.م.س، ص: 182.

[8] رضوان صادق الوهابي، الخطاب الشعري الصوفي ، منشورات زاوية، ط01- 2007م، ص: 74.

[9] الحلاج، الديوان، منشورات مصطفى الشبي، بغداد، ط01- 1974م، ص 281.

[10] المصدر نفسه، ص: 93.

❖مراتب الحب ثلاث:

1- الحب الطبيعي: يشمل ما بين البشر والظواهر والأشياء في الطبيعة من تجاذب فيزيولوجي أو فيزيائي أو ميكانيكي وهو أناني بمعنى ما، وفيه يكون الذات والموضوع العاشق والمعشوق لا يزالان متمايزين بعيدين عن الانصهار في وحدة كاملة.

2- الحب الروحاني: فيتطلب من صاحبه القيام بحق المحبوب ومعرفة قدره وسعي لمرضاته، وهو خارج عن الحد وبعيد عن المقدار والشكل وغايته هو الاتحاد وهو أن تصير ذات المحبوب غير ذات المحب، وهذا حب "العارفين".

3- الحب الإلهي: هو حب الإله لذاته، يتجلى في شكلين: شوق (حنين) الإله إلى العالم، الحق إلى الخلق، وشوق العالم إلى الإله أو الخلق إلى الحق، وشوق المخلوقات إلى الحق هي علة عودتها إلى أصلها إلى الوجود الواحد، وذلك على عودة لأنها إلى البحر الذي خرجت منه.

[11] أرثور سعيد سيف، توفيق سلوم، الفلسفة العربية الإسلامية، عن كتاب الطواسين للحلاج، ص: 285.

- تعددت مستويات الخطاب الصوفي حول موضوع الفناء، ذلك أنهم أطلقوا مفهوم الفناء على المعنى الأخلاقي ويكون بفناء الأخلاق الرديئة وبقاء الأخلاق المحمود.
- والمعنى الثاني للفناء هو فناء إرادة العبد في إرادة الله، ويقصد ذلك أن الله هو مريد على الحقيقة.
- والمعنى الثالث: الفناء عن شهود السوء، ويقصدون به الفناء عن رؤية غير الله والاستهلاك في رؤيته.

• عبر عنه القشيري بقوله: أشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة، وأشاروا بالبقاء إلى قيام الأوصاف المحمودة به فمن فنى عن أوصافه المذمومة ظهرت الصفة المحمودة ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة، القشيري، ص: 227.

[12] ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل، ج1، ص: 82.

[13] ابن العربي، الفتوحات المكية، ج4، م.م.س، ص: 417.

[14] ابن عربي، ديوان ترجمات الأشواق قدم له، صلاح الدين الهواري دار مكتبة الهلال بيروت، دار البحار، بيروت، ط01- 2005م، ص: 92.

[15] المصدر نفسه، ص: 92.

[16] مصطفى بن سليمان بالي زاده، شرح فصوص لابن عربي وضع حواشية الشيخ فادي أسعد نصيف منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت ط02- 2003م، ص: 183.

[17] إمام حنفي سيد عبد الله/ الآراء الكلامية والصوفية عند القشيري مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ج01، ط - 2006م، ص: 78.

[18] أدب عربي /الفتوحات المكية، المج03، م.م.س، ص: 368.

[19] نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي، م.م.س، ص: 268.

[20] نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، م.م.س، ص: 269.

• اختلف أصحابنا في مقام المعرفة والعارف ومقام العلم والعالم،

[21] إمام حنفي سيد عبد الله، مج02، م.م.س، ص: 452.

[22] سورة لقمان، الآية، رقم 20.

[23] سورة الأنعام، الآية رقم 120.

طائفة قالت: مقام المعرفة رباني ومقام العلم إلهي، وطائفة قالت مقام المعرفة إله ومقام العلم رباني دونه فإنهم أرادوا بالعلم ما أردناه بالمعرفة فالخلاف فيه لفظي وعمدنا قول الله تعالى "وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق" المائدة 83.

[24] سورة الحديد، الآية رقم: 03.

[25] الجابري، بنية العقل العربي، ص: 272.

[26] ابن رشد، فصل مقال في تقرير ما بين الشريع والحكمة من الاتصال أو وجوب النظر العقلي وحدود التأويل (الدين والمجتمع) مركز دراسات الوحدة العربية، ط03- 2002م، ص: 63.

[27] ينظر بنية العقل العربي، ص: 276.

[28] الجابري، تكين العقل العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط02- 1989م، ص: 214.

[29] القشيري، الرسالة، م.م.س، ص:

- الكشف في اللغة: رفع الحجاب وفي الاصطلاح هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا.

- التعريفات: الجرجاني:

الكشف عند العلماء مقابل للاختراع INVENTION والفرق المفهومين أن الكشف يطلق على حصول العلم بالأمور الحقيقة الموجودة بالفعل كالكشف عم الآثار، على حين أن الاختراع هو الكشف عن الأمور جديدة غير موجودة بالفعل كاختراع الآلات والأدوية.

وقد بين القدماء أن الكشف عن الأمور الغيبية يتم بطريقتين أحدهما طريق الإلهام INSPIRATION والحدس INTUITION وهو ذاتي والآخر طريق الوحي Révélation وهو خارج طارئ.

[30] رضوان الصادق الوهابين الخطاب الشعري الصوفي والتأويل، م.م.س، ص: 79.